

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ١٩٩٧/٥١

الأحد ٢١ كانون الأول

الأحد الذي قبل الميلاد

(أحد النسبة)

تذكار القديسة الشهيدة يولياني

اللحن الثاني

إنجيل السحر الخامس

الرسالة (عبرانيين ٩: ١١-١٠؛ ٣٢: ١١-٤٠)

إنجيل (متى ١ : ١ - ٢٥)

+ لماذا نعيد لميلاد الرب في ٢٥ كانون الأول؟

في الأصل، لم يحتفل بعيد ميلاد الرب يسوع يوم ٢٥ كانون الأول. أغلب الظن ان تحديد هذا التاريخ لم يبدأ إلا في اواسط القرن الرابع. قبل هذه الحقبة، احتفل المسيحيون بعيد واحد، هو عيد ظهوره بالجسد (أي ميلاده) وظهوره في العلن (أي بدء بشارته على أثر استعلانه ليوحنا المعمدان في نهر الأردن). أما لماذا تم الفصل بين الحدثين الخلاصيين، فالأدلة التاريخية لا تعطي جوابا جازما، بل ان التأويل يتأرجح بين تفسيرين قد يكون كلاهما صحيحا. الفرضية الاولى والمبنية على تفسير بعض المؤرخين في القرن الثالث تشير الى ان المسيحيين كانوا يعتبرون ان خلق العالم تم في يوم الاعتدال الربيعي، أي في ٢٥ آذار بحسب التقويم اليولياني. لذا، فان خلق العالم من جديد، اي تجديده بقدوم الإله اليه، حدث في اليوم نفسه الذي تجسد فيه الرب في بطن العذراء مريم. واذا أخذنا فترة الحبل على أنها تسعة أشهر، يأتي الميلاد يوم ٢٥ كانون الأول.

أما التأويل الثاني والذي، كما أسلفنا، قد لا يتنافى مع الأول، فيشير الى احتفال بعيد "الشمس التي لا تقهر" (وهو اليوم الذي يحتوي على أقل عدد من ساعات النهار) كان يجري في الامبراطورية الرومانية، وتقول المصادر التاريخية ان الامبراطور قسطنطين نفسه كان يشارك في هذه الاحتفالات قبل اهتدائه الى المسيحية. ولما كان صخب الاحتفالات يجتذب الكثير من المسيحيين اليه ، وربما من أجل القضاء على احتفال وثني في ظل الشعور بوجوب إزالة كل ما يمت الى الوثنية بصلة، استعيد رمز الشمس كمصدر للنور للدلالة على "نور العالم" و"شمس العدل / شمس الحق" (ملاخي ٤: ٢) الذي هو ابن الله يسوع المسيح الإله المتجسد. ابتداءً هذا الأمر في روما، وبحسب بعض المصادر التاريخية في افريقيا الشمالية كعيد بديل عن عيد الشمس.

أما ما هو ثابت، بعد تأسيس العيد، فيشير الى ان العيد انتقل من روما الى كنائس الغرب والشرق، فانفصل العيدان، الميلاد ومعمودية يسوع (ما نسميه في تراثنا: الظهور الإلهي)، وكانت كنيسة أورشليم آخر كنائس الشرق تبنيها له في القرن الخامس. إلا ان الكنيسة الأرمنية ما تزال منفردة في الاحتفال بالعيدين معا بحسب الممارسة القديمة. يبقى ان نذكر ان أقدام إشارة الى الاحتفال بعيد الميلاد تعود الى العام ٣٣٦ حيث كان يحتفل به في روما. نشير، في الختام، الى أهمية الانتباه الى توقيت فصل العيدين. فان هذا الأمر تم في القرن الرابع وامتد تبنيه حتى القرن الخامس، وهي فترة كانت حافلة بالمجامع المسكونية وكتابات الآباء اللاهوتيين التي حاولت تحديد العقائد ومكونات الإيمان. لذا، فإن التشديد على تجسد الإله كفاد ومخلص كانت له دلالة كبيرة في ظل انشغال الكنيسة الكبير بتحديد شخص الأقبوس الثاني من الثالث على انه ذو طبيعتين: انسانية وإلهية. وقد يكون لهذا الانشغال أثر كبير على مسار الفصل بين العيدين وتثبيت الاول مع ما رافقه من لاهوت وليتورجيا.

+ عيد جامع لوالدة الإله

تحيا الكنيسة المقدسة في سنتها الطقسية الأحداث الخلاصية التي أتمها الله بابنه الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي منح الخلاص للجنس البشري. "الأعياد السيديّة" هي تذكارات كل الأحداث الخلاصية المتعلقة بالسيد (المسيح يسوع) وبالسيديّة (العذراء مريم والدة الإله) التي كان لها دور أساسي في جعل الخلاص ممكنا من خلال قبولها تجسد ابن الله في أحشائها بالروح القدس. يتبع كل عيد سيدي، في اليوم الذي يليه، عيد جامع للأشخاص الذين لهم دور فيه. تعيد الكنيسة المقدسة مثلا في ٧ كانون الثاني، في اليوم التالي لعيد الظهور الإلهي، أي ذكرى اعتماد ربنا يسوع من يوحنا المعمدان في نهر الأردن، عيدا جامعاً للقديس يوحنا المعمدان الذي كان له دور في عيد الظهور الإلهي.

كذلك تعيد الكنيسة المقدسة في اليوم التالي لعيد ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، اي في ٢٦ كانون الاول، عيداً جامعاً لوالدة الإله لأن مريم البتول كانت الأداة التي بواسطتها تمّ الله قصده الخلاصي. فمنها اتخذ جسداً ومنها ولد. هذا العيد هو من أقدم الأعياد الكنيسة المعروفة لوالدة الإله ويرجع تاريخه للقرن الخامس.

تسمّى الكنيسة المقدسة مريم "والدة الإله" لأن المولود منها هو ابن الله الأزلي الذي اتخذ طبيعتنا البشرية كلها ما عدا الخطيئة. وابن الله نفسه المولود من الآب منذ الأزل ولد من مريم البتول بالجسد في زمان.

للعذراء مريم مكانة خاصة عند الله بسبب قبولها الإله متجسداً في أحشائها. فعندما "رفعت امرأة من الجمع صوتها وقالت: طوبى للبطن الذي حملك والتدين للذين رضعتهما" أجاب يسوع: "بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها (لو ١١: ٢٧-٢٨) مشيراً الى امه، جاعلاً إياها مثالا لنا لأنها كانت في كل حين حاضرة ومصيغة تسمع كلامه وتحفظه في قلبها (لو ٢: ١٩ و ٥١): "هوذا أنا أمة للرب" (لو ١: ٣٨). لهذا السبب العذراء صورة لنا. هي أمنا وشفيعتنا الحارة لدى المخلص، تعلمنا كيف يجب ان نحب ابنها وإلهها ليكون لنا نصيب معه في ملكوته، واذا سأله امرأ استجاب لنا كما فعل معها في عرس قانا الجليل . وعندما نهتف للعذراء مريم في خدمة البراكنيسي قائلين: أيتها الفائق قدسها والدة الإله خالصينا" لا نقصد انها تشارك ابنها الخلاص انما تتشفع من أجل خلاصنا كأُم محبة، وشفاعة الأم قادرة ان تستعطف السيد، ولأننا نؤمن ان العذراء لا تطالبنا بعبادتها ولو دون عبادة المسيح، ولا المسيح جعلها نائبة عنه لانها قالت صريحا في عرس قانا الجليل "مهما قال لكم فافعلوه" (يوحنا ٢: ٥) داعية الكل الى طاعة ابنها ومخلصها والى محبته.

العذراء مريم نموذج ومثل أعلى للقداسة تتقدمنا في طريق الحياة في الله مرشدة وقائدة وجندية محامية وعمودا ناريا، والنعم التي اجابت بها.

+ قداس الميلاد

صباح الخميس ٢٥ كانون الاول يتراس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة قداس الميلاد في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرافية.